الدعوة العبّاسيّة من البداية حتى قيام الدولة (١٠٠-١٣٢هـ/٧١٨-٧٥٠م) وموقف العلويّين منها

The Abbasid Movement: The Beginning till the State Establishment (100-132 H/718-750 AD) & The Alawites Stance

م.م حسين هليب نجم عبد [١] TA. Hussein Hlayib Najm Abd

الملخص

شهد التاريخ على امتداده تعاقباً في الأمم والدول، ولا شك أن لقيام دولة ما ثم انهيارها بعد حين، ثم قيام دولة محلها وهكذا دواليك أسباباً معينة ترتبط ارتباطاً مباشراً بسياسة تلك الدول وما تحيط بها من ظروف خاصة عجلت في قيامها أو انهيارها، ومن بين تلك الدول هي الدولة العباسيّة التي حكمت العالم الإسلاميّ زهاء خمسة قرون.

أوجزنا الكلام في هذا البحث عن الدعوة السرية التي قام بها العباسيّون منذ عام (١٠٠هـ/٧١٨م)، وما اكتنفها من مجرياتٍ وأحداث أفضت في النهاية إلى قيام الدولة عام (١٣٢هـ/٧٥٠م)، وكذلك عرجنا على موقف العلويين منها، وذلك عن طريق تقسيم البحث على أربعة مباحث وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: الدعوة العباسية، العلويون.

Abstract

Throughout history, a succession of nations and states have been witnessed. There is no doubt that the rise of a state and its collapse, then the rise of a state in its place, and so on, has certain reasons that are directly related to the policies of those states. In addition, the circumstances available play a role in all states' rise or collapse and the speed of those

[١] – مديرية تربية كربلاء المقدّسة.

events. Among the Islamic states that ruled the Islamic nation for nearly five centuries is the Abbasid state.

In this research, we summarized the secret movement that the Abbasids carried out beginning in the year (100 AH / 718 AD), and the events that surrounded it. These events eventually led to the establishment of the state in the year (132 AH / 750 AD). In this work, we also mention the Alawites's stance on the movement. The research is divided into four parts and a conclusion.

المقدمة

استولى البيت الأمويّ سنة ٤١هـ/٦٦١م على خلافة المسلمين بالقوة والغلبة لا عن رضا ومشورةٍ، ومنذ ذلك الحين كانت قلوب بعضٍ من المسلمين منطوية على كراهةٍ لتولي معاوية بن أبي سفيان رقاب المسلمين، فضلاً عن ذلك فقد أظهر حكام هذا البيت جملة عيوبٍ كانت سبباً في القضاء عليهم، منها: ولاية العهد، المنافسة بين أفراد البيت الأمويّ، والصراعات القبلية، التعسف في معاملة بعض المذاهب والقوميات كالشيعة والموالي، وغيرها من الأسباب أفضت إلى ضعف هذه الدولة وفسحت المجال لقيام الدولة العباسيّة.[٢]

وسنستعرض في هذا البحث -بشكل مركّز- نسب العباسيّين وبداية دعوتهم، وطبيعة تنظيمها، وأساليبها، ومراحلها، وتطورها، حتى سقوط الدولة الأمويّة وقيام الدولة العباسيّة سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م وموقف العلويين منها، وذلك عن طريق تقسيم البحث على أربعة مباحث وخاتمة، كان المبحث الأول بعنوان: (العباسيّون وبداية دعوتهم)، وجاء المبحث الثاني بعنوان: (أساليب الدعوة ومراحلها)، وكان (التحرك العسكري وقيام الدولة) هو عنوان المبحث الثالث، أما (موقف العلويين من الدعوة) فقد تعرضنا له في المبحث الرابع، وقد خرج البحث بجملة نتائج أوجزناها في الخاتمة.

المبحث الأول: العباسيّون وبداية دعوتهم

أولاً: العباسيّون وسبب استقرارهم في الحميمة:

عُرف العباسيّون بهذا الاسم نسبة إلى (العباس بن عبد المطلب) عمّ النبي -ﷺ-، لم يكن ذا سابقة في الإسلام، أسلم عام الفتح، وبعد وفاة الرسول -ﷺ- لم تظهر له رغبة في الخلافة، توفي سنة ٣٤هـ/٦٥٤م، أعقب عشرة أولاد كان (عبد الله) ثانيهم، عُرف بسعة علمه حتى لُقِب بـ(حبر الأمة) [٣]، وهو أيضاً لم تكن له ميول لنيل الخلافة بعد رسول الله -ﷺ-، رافق الإمام علياً -عليه السلام- فولاه البصرة وأعمالها، وفي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ترك الحجاز وأقام في الطائف أثر خلاف بينه وبين عبد الله بن الزبير، وبقي فيها حتى وفاته سنة ٦٨هـ/٦٨٧م.[٤]

٢- ينظر: الصلابي، الدولة الأموية، ص٤٤٠؛ طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص١٨٣.

٣- ينظر: مؤلف مجهول، أخبار العباس وولده، ص٥٢.

٤- كان من أسباب الخلاف التي دعته إلى ترك مكة هو أنّ ابن عباس قال بفسق عبد الله ابن الزبير كونه أحل حرمة بيت الله، وكان أشد من أبي عليه هدم الكعبة بعد أن اصابها جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م بقيادة ابن نمير، وعندما رأى أنّ ابن الزبير قد ألصقها بالأرض خرج ابن عباس إلى الطائف إعظاماً لفعلة ابن الزبير، وهناك من يرى أنّ ابن الزبير هو من نفى عبد الله بن عباس إلى الطائف، علماً أنّ هناك عدداً من الصحابة قالوا أيضاً بفسق ابن الزبير مثل عبد الله بن عمر، وعبيد الله بن عمرو بن العاص، وابي

أعقب عبد الله بن عباس خمسة أولاد كان أصغرهم (علي)، إذ لم يكن مشهوراً كأبيه، وقد أوصاه أبوه حين احتضاره أن يقيم في الشام عند عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م)؛ كونه آمناً من التقرب لآل الزبير، فالتزم علياً بوصية والده، فأكرمه عبد الملك وأجلسه على سريره قائلاً لوجوه أهل الشام: (هذا ابن عم محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- قد أتاني عارفاً بأني أولى بالأمر من ابن الزبير) فأقطعه قرية في البلقاء شرق الأردن اسمها (الحميمة)[٥]، واستقر بها حتى وفاته سنة ١١٨هـ/٧٣٦م، ولم يرد ما يُشير إلى رغبته بالخلافة، وقد أعقب ستة عشر ولداً، وكان (محمدٌ) أولهم، هو الشخصية القوية والعباسيّ الحقيقي الذي أظهر طموحاً نحو الخلافة وسعى سعياً سرياً منظماً لنيلها.[٦]

وكانت علاقة محمد بن علي وثيقةً بأبي هاشم بن محمد بن الحنفية، فقد اتصل به في دمشق وأخذ عنه العلم، واستمرت العلاقة حتى وفاة أبي هاشم سنة ٩٨هـ/٧١٦م.

ثانياً: بداية الدعوة العباسيّة:

تشير بعض المصادر إلى أن بداية الدعوة كانت نهاية القرن الأول الهجريّ السادس الميلاديّ، وذلك بالاعتماد على رواية مفادها:

أنّ بعض الشيعة كانت تعتقد بإمامة محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب بعد أخيه الحسين -عليه السلام- ، وبعد وفاة ابن الحنفية انتقل الأمر إلى ولده أبي هاشم عبد الله وكان عظيم القدر، قصد دمشق بناءً على دعوةٍ من الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) [٧]، فبرّه ووصله، وكذلك عامله سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م)، لكن سرعان ما رأى من فصاحته ورئاسته وعلمه ما حسده عليه، فتخوّف منه مدركاً أنّ الشيعة هم الحزب المنافس لبني أُميّة، فأمره بالخروج من دمشق ودسّ له من سمّه وهو في الطريق وكان ذلك سنة (٩٨هـ/٧١٦م)، وشعر أبو هاشم بالسمّ يجري في جسمه، فأدرك أنّه ميّت، وكان بالقرب من بلدة الحميمة، فعرَّج عليها واجتمع بمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فأخبره بأنّه هالك، وأوصى إليه، وتنازل له عن حقّه في الإمامة، وقال له أنه لك وفي ولدك.[٨] وعلى أساس هذا التنازل، ورث محمد بن علي العبّاسيّ الدعوة.[٩]

برزة الأسلمي. (ينظر: اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٦٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ج٦٠٩، موسوعة عبد الله بن عباس، ج٥، ص٢٧٦-٢٨٤).

٥- مؤلف مجهول، تاريخ العباس وولده، ص٦١؛ وينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلاميّة في العصر العباسيّ، ص٩.

٦- ينظر: العبادي، في التاريخ العباسيّ والاندلسيّ، ص١٨-١٩؛ السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلاميّة في العصر العباسيّ، ص٧-٨.

٧- كان أبو هاشم يسكن المدينة، لكن الوليد بن عبد الملك استقدمه إلى دمشق أثر وشايةٍ بأن له أتباعاً من أصحاب المختار يأتونه ويحملون صدقاتهم إليه، فأمر الوليد بسجنه، وبعد مدّة أطلق سراحه بشفاعة علي بن الحسين السجاد -عليه السلام- (ت٩٥هـ/٧١٣م)، وأمره الإقامة في دمشق. (ينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الاسلاميّة في العصر العباسيّ، ص٩).

٨- قيل إنّه قبل وفاة أبي هاشم دفع إلى محمد بن علي الصحيفة الصفراء، وهذه الصحيفة كانت لعلي بن أبي طالب -عليه السلام- فانتقلت من بعده إلى ولده الحسن -عليه السلام-، وثم إلى الحسين -عليه السلام-، ومن ثمّ إلى محمد بن الحنفية، وكان فيها علم رايات خراسان السوداء، متى تكون وكيف تكون، ومتى تقوم، ومتى زمانها، وعلاماتها، وأسماء رجال يقومون بذلك، وكيف صفتهم وصفة رجالهم وأتباعهم. (ينظر: مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسيّة، ص١٨٤-١٨٥).

٩- ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٥٩؛ ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٤٣، وفيه يذكر أنّ هشاماً ابن عبد الملك هو الذي استدعى أبا هاشم؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٢٦؛ العبادي، في التاريخ العبّاسيّ والأندلسيّ، ص١٩.

ثالثاً: الطعن في صحة رواية التنازل:

إن هذه الرواية معرضة للطعن بصحتها لعدة أسباب:

١. لو كان هذا التنازل قد حصل فعلاً لكان للعباسيين الحق في الافصاح عنه، في حين أنّ دعوتهم كانت باسم (آل البيت) و(آل محمد)، ولا شكَ أنّ الغرض من ذلك هو التمويه والتعمية على الشيعة بوجه خاص، وهذا دليل يهمل فكرة التنازل.[١٠]

٢. في اجتماع (الأبواء)[١١] الذي حضره جماعة من العلويين والعباسيّين في أواخر أيام الدولة الأموية- وكان من الحاضرين محمد ذو النفس الزكية (ت١٤٥هـ/٧٦٢م) والمنصور العباسيّ (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٥م) - واتفقوا على أنه في حال سقوط الدولة الأموية يكون الخليفة حينها محمداً ذو النفس الزكية[١٢]، ولو أن فكرة التنازل وقعت لاعترض المنصور على ذلك وأشار إلى الوصية.

٣. بعد أن استقر الأمر للعباسيين حاولوا أن يحيطوا خلافتهم بشيء من الشرعية فقالوا إن الخلافة تركة بعد النبي -ﷺ-، وأنهم من نسل العباس عم النبي، أمّا العلويون فهم من نسل بنته فاطمة، والعم في الميراث والعصبية مقدم على ابن البنت، وفي الرسائل التي تم تبادلها في صدر الدولة العباسيّة بين المنصور وذي النفس الزكية وُجِد كلامٌ في هذا المعنى، فمن بين ما أجاب به المنصور((وأما قولك إنكم بنو رسول الله -ﷺ- فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[١٣] ولكنكم بنو بنته، وإنّها لقرابة قريبة، ولكنها لا يجوز لها الميراث، ولا ترث الولاية، ولا يجوز لها الإمامة، فكيف تورث بها... ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها من المسلمين أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يورثون)).[١٤]

رابعاً: طبيعة تنظيم الدعوة:

بعد أن تمّ تنازل أبو هاشم دُعي محمد بن علي العباسيّ بالإمام، وبايعه من كان مع أبي هاشم من أصحابه المطّلعين على أمره، وأدرك محمد الإمام إن نقل حق الخلافة من بيتٍ إلى آخر لابد أن يسبقه إعداد الأفكار، وتهيئة النفوس لتقبّل الوضع الجديد، لذلك التزم الحيطة والحذر وطلب من أتباعه الدعوة إلى ولاية آل البيت دون تسمية أحد.

١٠- أشار بعض الباحثين أن تحوّل الخلافة من الهاشميين إلى بني العباس كان استغلالاً ذكياً من قبل محمد بن علي العباسيّ بعد الفراغ القيادي الذي تركه أبي هاشم بعد وفاته، فخصّص الدعوة لبني العباس سراً. (ينظر: طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص٨).

١١- الأبواء مدينة تقع بين مكة والمدينة. (ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٧٩).

وكان غرض بني العباس من هذا الاجتماع الصوري فهم خطط العلويين من جهة، وتهيئة الأجواء الودية، وإشاعة روح المحبة والوئام بينهم وبين العلويين، وتطميناً لخواطرهم من جهة أخرى، أو على أقل تقدير جعلهم محايدين في الصراع العباسيّ الأمويّ المخطط له؛ ليتم لهم ما يهدفون إليه، وبذلك يكونون قادرين على تحشيد ما استطاعوا من قوة لصالحهم.

وممن حضر الاجتماع إبراهيم الإمام وأخواه السفاح والمنصور، وعمهم صالح بن علي العباسيّ، وعبد الله المحض ابن الحسن المثنى، وابناه محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم. (ينظر: الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٧٦٥؛ لجنة التاريخ، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٤٤٨).

١٢- ينظر: الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ج١، ص١٤٠.

١٣- سورة الأحزاب: الآية: ٤٠.

١٤- ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠-١١.

وقد أظهر الإمام محمد بن عليّ العباسيّ مقدرةً فائقة في وضع هيكلية التنظيم السريّ واختيار مركز الدعوة وشعارها، وفي تحديد الأمصار التي تنطلق منها، فمن حيث التنظيم السريّ فقد تضمن سلسلةً من المراتب وكما يأتي:

(نقيب النقباء): هو أكثر النقباء حكمةً، وتدبيراً للأمور، ثم (النقباء): هم مساعدو الإمام، يعرفون سرّه ويحتفظون به، وكانوا على قدرٍ عالٍ من الإخلاص للدعوة، ومن مهامهم الإشراف على الدعوة والتأكد ممن ينتمي إليها، وكان عددهم (١٢) نقيباً، ثم (نظراء النقباء): عددهم مساو لعدد النقباء، والنظير يحل محل النقيب عند وفاته، ثم (الدعاة): يأتمرون بأمر النقباء، ويتمتعون بقدرات دعائية وعسكرية عالية، ويذكر أن عددهم كان (٧٠) داعيةً، ثم (العمال): كان لكلّ داعٍ عدد من العمال الذين يُشرفون على الخلايا السرية التي تتوغل في المجتمع.[١٥]

وقد كان ذلك التقسيم جرياً على سنّة بني إسرائيل، وسنّة النبيّ الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم-، فقد ورد في القرآن الكريم ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾[١٦]، ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[١٧]، وإن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وافاه ليلة العقبة سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فبايعوه، فجعل منهم اثني عشر نقيباً.[١٨]

وأمّا مركز الدعوة فقد اختار الإمام البقاء في الحميمة بفعل موقعها الجغرافيّ على خطّ القوافل التجاريّة وطريق الحج من جهة، وبُعدها عن المسرح السياسيّ من جهةٍ أخرى.

ومن حيث الشعار فإنه نادى بشعار (المساواة والإصلاح)، و(الدعوة إلى الرضا من آل محمد)[١٩]، وقد ساهم هذا الشعار في نجاح الدعوة عن طريق:

١. اندماج الشعوب التي أسلمت في الدولة العربيّة والإسلاميّة.
٢. كسب تكتل عددٍ من العلويّين وأنصارهم إلى جانب الدعوة.

ومن حيث الأمصار التي تنطلق منها الدعوة فإنّه أمر الدعاة بالتركيز على خراسان[٢٠] دون بلاد العراق؛ لأنّ العراق كان قريباً من مركز الخلافة في الشام إلى جانب تعدد أحزاب العراق من شيعةٍ وخوارج ومعتزلة ومرجئة، فضلاً عن وجود جيوش الشام ورجالات بني أمية ووجوه العرب في حواضر العراق.

في حين أنّ خراسان تقع في الأطراف البعيدة، وأغلب سكانها من الموالي الساخطين على الحكم الأمويّ، وفيها أقلية من العرب فرّقت العصبية القبلية شملهم، كما يبدو أنّ الإمام قد شعر بتأزّم الوضع فيها واقترابه من الانفجار، بفضل الصراعات القبلية وتذمر الموالي، فأثبت بذلك أنّه كان على تفهّمٍ للأوضاع السياسيّة، فضلاً عن تمكّنه من تحديد الولاءات السياسيّة في الأمصار الإسلاميّة، وذلك من خلال رسالته التي وجهها لنقبائه جاء فيها: ((أمّا الكوفة وسوادها فشيعة عليّ وولده، وأمّا البصرة وسوادها فعثمانيّة تدين بالكف وتقول كنْ عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وأمّا الجزيرة فحرورية مارقة، وأمّا أهل الشام

١٥- ينظر: مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسيّة، ص٢١٥-٢٢٢؛ طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص١٨، الهامش.
١٦- سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
١٧- سورة المائدة، الآية: ١٢.
١٨- ينظر: مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسيّة، ص٢٢١-٢٢٢.
١٩- ينظر: الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٦، ص٥٤.
٢٠- وهناك من يشير إلى أنّ اختيار خراسان كان بمشورة بعض دعاته وهو بكير بن ماهان. ينظر: السامرائي وآخرون، الدولة العربيّة الإسلاميّة في العصر العباسيّ، ص١١.

فلا يعرفون إلّا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، وعداوة راسخة وجهلاً متراكماً، وأمّا مكّة والمدينة فقد غلب عليهما أبا بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان، فإنّ هناك العدد الكثير والجَلَد الظاهر، هناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقاسمها الأهواء ولم يتوزّعها الدغل، وهم جند لهم أبدان وأجسام، ومناكب، وكواهل، وهامات، ولحى، وشوارب، وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أفواهٍ منكرة، وبعد فإنّي أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا، ومصباح الخلق)).[٢١]

وهكذا توفر للدعوة العباسيّة القيادة الفذّة والدعاة المخلصون، والبيئة الصالحة[٢٢].

المبحث الثاني: أساليب الدعوة ومراحلها

أولاً: أساليب الدعوة:

تضمن المنهج السياسيّ العباسيّ لكسب الأمة عدة أساليب كانت منسجمة مع الواقع ومقبولة عند عامّة الناس؛ ولذلك لقيت الدعوة استجابة سريعة وانضم إليها المحرومون والمضطهدون، ومن هذه الأساليب:

الأسلوب الأول: روّج العباسيّون أفكار الدعوة بقوّةٍ وحرّكوا العواطف تجاهها، وحاولوا إقناع الناس بأن الهدف من دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت -عليهم السلام- الذين تعرضوا للظلم والاضطهاد، وأريقت دماؤهم في سبيل الحقّ، وركّز العباسيّون من خلال دعاتهم بأن الهدف الرئيس من دعوتهم هو إرجاع الخلافة المغصوبة إلى أهلها، ولهذا تفاعل الناس مع شعار (الرضا من آل محمد) ووجدوا بهذا الشعار ضالتهم، وقد حقق هذا الشعار نجاحاً باهراً خصوصاً في البلاد التي لاقت البؤس والحرمان، وكانت تترقب ظهور الحقّ على يدي أهل بيت النبوة -عليهم السلام-.

الأسلوب الثاني: حرص العباسيّون على إخفاء اسم الخليفة الذي يدعون إليه، فتكتموا على أمره وأوعدوا الناس بأن الخليفة لا يمكن إظهار اسمه إلّا بعد زوال سلطان الأمويّين، وحينها يُعلن اسمه.

الأسلوب الثالث: التزم العباسيّون لبس السواد كشعارٍ لهم، وورد في تفسير ذلك أكثر من سبب، منه الاقتداء بالرسول، حيث كانت له -بحسب ما يروى- راية سوداء اسمها العقاب، وورد أيضاً إنّ السواد يرمز إلى محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتفجّع لمصائب أهل البيت -عليهم السلام- والشهداء الذين لحقوا بهم، كما يبدو أنّ لبس السواد كان بالضد من اللون الأبيض شعار الأمويّين.

ثانياً: مراحل الدعوة العباسيّة:

مرّت الدعوة العباسيّة بمرحلتين هامّتين:

المرحلة الأولى: تبدأ هذه المرحلة في مستهلّ القرن الثاني للهجرة، وتنتهي بانضمام أبي مسلم الخراساني إلى الدعوة، وتغطّي المدّة الزمنيّة بين عامي (١٠٠ - ١٢٨هـ / ٧١٨ - ٧٤٦م)، وقد تميّزت الدعوة في هذه المرحلة، بالسرّية التامّة، وخلوّها من أساليب العنف، في الوقت الذي كانت فيه دولة الخلافة الأمويّة متماسكة.

٢١- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج٣، ص٢٩٣.

٢٢- طقوش، تاريخ الدولة العباسيّة، ص٢١.

نظَّم الدعوة في العراق ثلاثة دعاة هم: ميسرة العبديّ، وهو مولى لعليّ بن عبدالله بن العبّاس، وبكير بن ماهان، ويُعد أهمّ دعاة العراق، وأبو سلمة الخلّال الذي قاد الدعوة في الأعوام الخمسة الأخيرة قبل تسلُّم بني العبّاس السلطة.

أمّا في خراسان، فقد قامت الدعوة على أكتاف جماعةٍ من الدعاة، أشهرهم أبو عكرمة السرّاج مولى ابن عبّاس، ومحمّد بن خنيس، وحيّان العطّار، وكثير الكوفي، وخدّاش البلخي، ونقيب النقباء سليمان بن كثير الخزاعي، ويبدو أنّ السلطات الحاكمة، علمت بأمر الدعوة، فطاردت الدعاة وقتلت بعضهم.

وفي هذه المرحلة أحدث الإمام محمّد بن عليّ العبّاسيّ تغييراً استراتيجياً هامّاً في فحوى الدعوة حين خصّصها لنفسه، وكشف ذلك لدعاته، على أن يبقى هذا الأمر وقفاً عليهم فقط دون العامّة، وحذرهم بعدم الاشتراك في أيّ حركةٍ مهما كانت، لأنّ الوقت لم يحن.

وتوفّي الإمام محمّد في عام (١٢٥هـ / ٧٤٣م)، بعد أن قطعت الدعوة شوطاً بعيداً، وقد أوصى بالإمامة من بعده لابنه إبراهيم[٢٣].

المرحلة الثانية: تبدأ هذه المرحلة بانضمام أبي مسلم إلى الدعوة العبّاسيّة سنة (١٢٨هـ/٧٤٦م)، واستمرّ حتّى عام (١٣٢هـ/٧٥٠م)، وهو العام الذي سقطت فيه دولة الخلافة الأمويّة، وقامت دولة الخلافة العبّاسيّة.

تعرّضت الدعوة العبّاسيّة، بعد وفاة الإمام محمّد بن عليّ إلى الاهتزاز؛ بفعل قيام حركاتٍ شيعية مستقلّة عنها في خراسان[٢٤]، فخشي الإمام إبراهيم أن يفلت زمام الأُمور من يده، وتكتسح هذه الحركات دعوته. لذلك قام ليعيد طاعة الخراسانيّين العرب بشكلٍ خاصّ، واستطاع بنفوذه الشخصيّ – ومن خلال سليمان بن كثير الخزاعيّ – إعادة التلاحم بينهم وبين الدعوة.

تميّزت الدعوة في هذه المرحلة، باستعمال القوّة لتحقيق هدفها؛ فبعد اتّساع خلاياها، وتعمّق جذورها في المجتمع الخراسانيّ، كان لابدّ لها من رئيسٍ على درجةٍ عالية من الكفاءة والمقدرة، يشرف على شؤونها، ويعدّ الخطط للتحرّكات المقبلة.

عرض إبراهيم الإمام القيادة على نقيب النقباء سليمان بن كثير، وكان شيخاً مسنّاً، فاعتذر عن قبولها، وأنّه سيرسل أحداً من آل البيت ممثلاً عنه، ثمّ عرضها على إبراهيم بن سلمة، فاعتذر أيضاً بوجود من هو أكفأ منه[٢٥].

٢٣- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥.

٢٤- ثار يحيى بن زيد الشهيد على الدولة الأموية طلباً بثأر أبيه الذي استشهد سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م)، وقد نجح الأمويّون في القضاء عليه سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م).

كما قام عبد الله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر بن أبي طالب ضد الأمويّين داعياً للرضا من آل محمد، لكن يبدو أنه اعتز بقوته واتساع نفوذه، فدعا لنفسه مدعياً أنّ الإمامة انتقلت إليه من الإمام أبي هاشم بناءً على وصيةٍ له عهد بها إلى صالح بن مدرك، ليحتفظ بها حتى يشبّ عبد الله بن معاوية الذي كان حدثاً حين مات أبو هاشم، وعلى الرغم من مهادنة العباسيّين له أول الأمر إلّا أنّ نهايته كانت على يد أبي مسلم الخراسانيّ.

٢٥- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٩٥.

عندئذ اتّخذ الخطوة الحاسمة، واختار أبا مسلم الخراساني[٢٦]، ممثّلاً له في خراسان، فقلّده الأمر وأرسله إلى هناك[٢٧].

وقد واجه تعيين أبي مسلم – الذي كان حينها عمره لم يتجاوز (٢١) سنةً – معارضة شديدة من سليمان بن كثير الخزاعيّ؛ لأنّه وجد في تعيينه مفارقةً مخيبة للآمال، نظراً لحداثة سِنّه وحداثة عهده بالدعوة، وعليه جرت في مكة أثناء موسم الحجّ مناقشة إبراهيم الإمام بخصوص تعيين أبي مسلم، غير أن الأمر الواقع فرض نفسه، فاضطر سليمان إلى قبوله؛ خوفاً على الدعوة من التصدّع، وفي المقابل أوصى إبراهيم الإمام أبا مسلم بطاعة سليمان بن كثير وأن لا يعصي له أمراً.[٢٨]

كان اختيار أبي مسلم خطوةً موفّقة وفاتحة مرحلةٍ جديدة في استنهاض حياة الدعوة؛ بفعل أنّ مولى يُدير دفّة الأُمور في خراسان ذات النفوذ الفارسيّ الواضح، والمضطربة قبلياً، أجدر بالثقة من عربيٍّ حرّ. وتدلّ الرسالة – التي بعث بها الإمام إليه عندما ولّاه الشروع للعمل في خراسان – أنّ استمالة العرب اليمانيّة هو حجر الأساس ومفتاح النصر[٢٩]، فاستقامت أُمور العبّاسيّين في خراسان نتيجة جهوده السياسيّة والعسكريّة، واستطاع هذا الرجل، بما تمتّع به من كفاءات، أن يُصبح الداعية العبّاسيّ المتحكّم في الشرق كلّه بعد أن أثبت جدارته أمام سليمان بن كثير[٣٠].

المبحث الثالث:التحرك العسكري وقيام الدولة

حفلت الأعوام الأربعة الأخيرة من حياة دولة الخلافة الأمويّة، (١٢٩-١٣٢هـ/٧٤٦-٧٥٠م)، بتطوّراتٍ سريعة، شكّلت جذور الحياة العبّاسيّة، وتجلّت فيها مظاهر ضعف العنصر العربي بشكلٍ عام، بفعل ما ساده من نزاعاتٍ وانقسامات حادّة، وبرز خلالها ضعف الأمويّين بشكل خاصّ، وشهدت عمليات تصفية النظام الأمويّ، وظهرت القوى الجديدة من بين ركام المعارك التي تسنّم قيادتها أبو مسلم الخراسانيّ، ثم قحطبة بن شبيب، وانتهت بقيام دولة الخلافة العبّاسيّة، ونوجز تلك الأحداث بما يأتي:

٢٦- ترجّح الروايات التاريخية الأصل الفارسيّ لأبي مسلم؛ فهو مولى فارسيّ واسمه الحقيقي بهزوان، تلقّى أُصول الدعوة في الكوفة، فاسترعى انتباه الدعاة فيها، فقدّموه إلى الإمام إبراهيم الذي لمس فيه ذكاءً خارقاً وإرادة قوية، فأيقن أنّه الشخصية التي يمكن الاعتماد عليها. (ينظر فيما يتعلّق بأصل أبي مسلم وحياته الأُولى: الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص١٩٨- ١٩٩؛ الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٠٧ ـ ١٠٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٥- ١٤٦).

كما ادّعى أنّه عبد الرحمن بن سليط بن عبد الله بن عباس، وكان عبد الله بن عباس وطئ جارية له كان لا يثق بها، وكانت تدخل وتخرج، فجاءت بولد ذكر سمّاه سليطاً، فكان في حياته يدعوه لأمه فلمّا تُوفّي ادّعت أمّ سليط أنّه من عبد الله فخاصمت عليّ بن عبد الله إلى الوليد بن عبد الملك، فتعصب عليه الوليد، فأراد أن يحكم لسليط، وكره عليّ بن عبد الله أن يدخل في نسبه من ليس منه، فقتله. (ينظر: مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسيّة، ص١٤٩).

٢٧- السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلاميّة في العصر العباسيّ، ص١٤.

٢٨- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٥.

٢٩- ينظر نصّ الرسالة في: الطبري، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٤٤.

الجدير بالذكر أنّ بعض المؤرّخين يُنكرون وجود مثل هذه الوصية، وأنّها موضوعة من قبل أعداء الثورة العبّاسيّة؛ من أجل تشويه طبيعتها وأهدافها وتأليب العرب ضدّها بفعل أنّها تُوصي بالقضاء على العنصر العربيّ، إلّا أنّ الأحداث تؤكّد بعض ما جاء فيها خاصّة فيما يتعلّق باستمالة اليمانية واستقطابهم للعمل ضدّ مضر. (راجع حول نقد وجود هذه الوصية: فوزي، التاريخ الإسلاميّ وفكر القرن العشرين، ص٧٨ – ٧٩).

٣٠- السامرائي وآخرون، العالم الإسلاميّ في العصر العبّاسيّ، ص٤٨ ـ ٤٩.

أولاً: التحرك العسكريّ بقيادة أبي مسلم الخراسانيّ:

نزل أبو مسلم فور وصوله إلى خراسان، في بلخ، ثمّ أخذ يدير الأُمور بحكمةٍ ودهاء، فراح يتنقّل في قرى الشرق، يحثّ أهلها على الالتفاف حول الدعوة. وقد أصاب نجاحاً كبيراً في ذلك، فاستقطب الموالي بما صوّر لهم من فساد الحكم الأمويّ، وأثارهم بما كانوا يعانونه من ظلم في ظلّه، ثمّ استقطب القبائل العربيّة اليمنيّة، وانضمّ إليه أهل التقادم المعروفون بمعارضتهم للنظام الأمويّ.

بعد أن اطمأنّ أبو مسلم إلى ما وصلت إليه الدعوة من القوّة والانتشار، رفع تقريراً بذلك إلى القيادة في الحميمة. ومن جهته أخذ الإمام إبراهيم بن محمّد زمام المبادرة، فحدّد تاريخ بدء التحرّك، آخذاً بعين الاعتبار الظروف الداخلية لقوّة الدعوة، والظروف الداخلية المتردّية لدولة الخلافة الأمويّة.

وفعلاً، أُعلنت الثورة في خراسان يوم الخميس في الخامس والعشرين من (شهر رمضان عام ١٢٩هـ / شهر حزيران عام ٧٤٧م)، فالتفّت شيعة العبّاسيّين حول أبي مسلم، وقد اتّخذوا السواد شعاراً في ملابسهم وألويتهم، ولذا عرفوا بالمسودة[٣١].

وأُقيمت في يوم عيد الفطر، في مرو أوّل صلاةٍ لأنصار العبّاسيّين[٣٢]، فانكشف أمرهم. وكان لابدّ من الصدام مع القوات الأمويّة لتحديد الموقفين، السياسيّ والعسكريّ.

وعمد أبو مسلم إلى أُسلوب المزج بين السياسة والقوّة العسكرية؛ بهدف التفريق بين القوى المتواجدة في خراسان وهي: (قوّة الدولة الأمويّة ممثّلة بوالي خراسان نصر بن سيّار، وقوّة اليمنية وربيعة بزعامة جديع الكرماني، قوّة الخوارج الحروريّة بزعامة شيبان الحروريّ) ودفعها إلى الاصطدام حتّى لا تتّحد كلمتها، ويقوى أمرها، ممّا يشكّل خطراً على الدعوة العبّاسيّة.

فنجح بدهائه في الإبقاء على العداء بين الوالي الأمويّ على خراسان نصر بن سيّار وخصومه، وتعاون مع جديع الكرماني ثمّ مع ابنه عليّ بعد ذلك، وشيبان الحروريّ للإطاحة بالأمويّين، ثمّ زرع بذور الشقاق بين الوالي الأمويّ وزعماء القبائل. وتخلّص أخيراً من شيبان الحروريّ وابني الكرمانيّ عليٍّ وعثمان.

وهكذا تحرّك أبو مسلم على كافّة جبهات القوى السياسية[٣٣]. ونجح في قطف ثمار جهوده بالقضاء على خصومه، والتفرّد بحكم خراسان، وفرّ نصر إلى نيسابور[٣٤].

وعمد الزعيم الخراسانيّ، بعد أن ثبّت أقدامه في المناطق التي سيطر عليها، إلى التخلّص من الزعماء البارزين الذين اعتبرهم منافسين له على الزعامة، فقتل سليمان بن كثير الخزاعيّ، نقيب النقباء، كما قتل ابنه محمّداً[٣٥]، وتخلّص من عددٍ من أنصار الثورة الذين شاركوه في العمل السياسيّ والعسكريّ.

٣١- ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٤٨.

٣٢- الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٥٧.

٣٣- ينظر فيما يتعلّق بالسياسة التي انتهجها أبو مسلم، والتي مكّنته من التفرّد بحكم خراسان: الطبري، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٥٥، ٣٦٧، ٣٧٧- ٣٨١؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٣٨ - ٣٤٤، ٣٤٨.

٣٤- الطبري، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٧٧ - ٣٨١.

٣٥- الجدير بالذكر أنّ حادثة قتل سليمان بن كثير تمّت دون العودة إلى الخليفة أو أخذ رأي الأمير أبي جعفر الذي كان موجوداً آنذاك في خراسان. (ينظر: فوزي، التاريخ الإسلاميّ وفكر القرن العشرين، ص٨١).

وخلا بذلك الجوّ لأبي مسلم، وأضحى الحاكم الأوحد لبلاد المشرق، واتّخذ لنفسه لقب «أمير آل محمّد»[٣٦]؛ وهذا يعني أنّه اعتبر نفسه أكثر من مجرّد والٍ على مقاطعة.

تجلّت خلال حرب خراسان قدرات أبي مسلم العسكريّة والسياسيّة والإداريّة، تلك القدرات الكبيرة التي تجمّعت لهذا الوالي والتي جعلته من بين أعظم القادة العبّاسيّين.

ثانياً: التحرك العسكري بقيادة قحطبة بن شبيب ثم ولده:

ما كادت الثورة العبّاسيّة تستقرّ في خراسان، وتتهيّأ القيادة فيها لتسديد الضربة الأخيرة لقائد الجيش الأمويّ نصر بن سيّار، المتقهقر إلى نيسابور، ومعه أنصاره من العرب من قبائل تميم وبكر وقيس، حتّى نُقلت قيادة العمليات العسكريّة من أبي مسلم إلى قحطبة بن شبيب الطائيّ بأمرٍ من الإمام إبراهيم بن محمّد[٣٧].

ويبدو أنّ القيادة العليا في الحميمة تطلّعت إلى ما وراء خراسان من أحداث، ورأت ألّا يتجاوز أبو مسلم هذه المنطقة، وأنّ العمليات العسكريّة في المناطق العربيّة لابدّ أن تُسند إلى قيادةٍ عربيّة.

سيطر قحطبة على طوس ونيسابور[٣٨]، وأدرك نصرٌ من جانبه، استحالة المقاومة واستعادة السلطة، فهرب من نيسابور إلى الري[٣٩].

ذُعرت الحكومة المركزيّة في دمشق من هذه التطوّرات السريعة في خراسان، فأرسلت الجيش تلو الجيش للقضاء على قوّة الثورة، إلّا أنّها فشلت في مهمّتها. فاستسلمت المدن مثل أصفهان ونهاوند وغيرهما[٤٠]، وأضحت الطريق إلى العراق مفتوحةً أمام جيش الثورة. ومات نصرٌ بالري في جوّ الهزيمة القاتم دون أن يكسب معركة[٤١]. وفقد الأمويّون بموته قائداً كبيراً يقودهم في هذا الصراع الدامي؛ ممّا أثّر على قضيتهم تأثيراً سلبياً.

واندفع قحطبة بجيشه نحو الكوفة في جو الانتصارات، في الوقت الذي كان فيه يزيد بن هبيرة، الوالي الأمويّ على العراق، يتحرّك نحوه، فجرت بينهما معركة انتهت بانتصار قحطبة. وتقهقر ابن هبيرة إلى واسط وتحصّن بها. لكن قحطبة لم يعش ليرى النتيجة النهائية؛ فقد غرق وهو يعبر النهر[٤٢] وخلفه ابنه الحسن في زحفه الظافر ودخل الكوفة في سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)، واعترف بأبي سلمة الخلّال رئيس دعاة العراق وزيراً لآل محمّد، وقد أضحى صاحب السلطة الفعلية[٤٣].

وبهذا تقرّر مصير العراق: وكان استقرار الثورة في هذا البلد، بعد المشرق، كسباً عظيماً؛ بحيث أضحى من الممكن أن تظهر الدعوة، وأن يعرف الخراسانيّون إمامهم من آل محمّد[٤٤].

٣٦- الطبري، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٨٦ - ٣٨٨.
٣٧- الطبري، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٨٨.
٣٨- الطبري، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٨٩ - ٣٩٠.
٣٩- الطبري، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٩٠؛ ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٥٣.
٤٠- اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ: ٢/٢٧٥؛ الطبري، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٤٠٥ - ٤٠٨.
٤١- ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٥٣.
٤٢- ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٥٧؛ اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٧٧.
٤٣- ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٥٧؛ اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٧٧.
٤٤- السامرائي وآخرون، العالم الإسلاميّ في العصر العباسيّ، ص٦٤.

ثالثاً: تولّي بنو العبّاس السلطة:

كان أبو مسلم على اطّلاعٍ دائم بما كان يجري في العراق، وأمّا أبو سلمة، فقد كان مسؤولاً عن الكوفة بوصفه «وزير آل محمّد»[٤٥]، وهو منصب ولقب لم يُستخدم في الدولة الإسلاميّة من قبل. ونستنتج من طبيعة المهام التي كان يمارسها، والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، في هذه الحقبة، أنّه كان صاحب الأمر والنهي. وقد اعترف بسلطته هذه جميع أنصار الثورة.

وبعد سيطرة أنصار الثورة على الوضع في العراق، حان الوقت لاختيار الشخص من آل محمّد الذي أُعلنت الثورة باسمه، وكان اسم إبراهيم الإمام هو الشائع. لكن هذا التداول كُشف عنه الغطاء، وسهّل لبني أُميّة اكتشاف الصلة بينه وبين الثورة؛ لذلك قبض عليه مروان الثاني، وسجنه في حرّان، ثمّ قتله سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)[٤٦]، وتؤكّد الروايات أنّ الإمام إبراهيم نعى نفسه إلى أهل بيته أثناء القبض عليه، وأوصى إلى أخيه ابي العبّاس عبدالله بن محمّد، وجعله الخليفة بعده، وأمرهم بالمسير معه إلى الكوفة، وأخبر أصحابه قبل موته بهذا الاختيار[٤٧].

وبعد قرابة الشهرين من وصول آل العباس إلى الكوفة بويع أبو العبّاس عبدالله بن محمّد أميراً للمؤمنين يوم الجمعة (الثاني عشر من شهر ربيع الآخر عام ١٣٢هـ / شهر تشرين الأوّل عام ٧٤٩م)[٤٨]، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ تاريخ الخلافة العباسية يبدأ بعد مقتل مروان الثاني؛ آخر الخلفاء الأمويّين، لثلاثٍ بقين من شهر ذي الحجّة من العام الهجريّ المذكور، الموافق لشهر تموز عام ٧٥٠م.

المبحث الرابع:موقف العلويين من الدعوة

لم يجهل العباسيّون أهمية العلويين كشريحة اجتماعية مهمّة ومؤهّلة لتولّي زمام حكم العالم الإسلامي، مع امتلاكهم تأييد شعبي واسع؛ لذلك عملوا على استغلال ذلك التأييد في طرح دعوتهم تحت الشعار المزيّف (الرضا من آل محمّد)، وفي مقابل ذلك كان العلويون- وتحديداً سيّدهم جعفر بن محمّد الصادق -عليه السلام- زاهدون بالحكم؛ لإيمانهم بعدم جدّية بني العباس في ذلك، وإنّ الظروف غير مهيّأة، وفي الوقت ذاته كان بعض العلويين متحمّساً لذلك، إلّا أنّ إبداء النصح والمشورة من قِبَل الإمام الصادق -عليه السلام- خففت من شدّة ذلك التحمسّ وبدّدت تلك الرغبة وإن كانت بشكلٍ غير مباشر كما سيتّضح من نصّ صاحب كتاب (الفخري في الآداب السلطانية) الذي سنورده.

وللكشف عن الموقف العلويّ من الدعوة لا بدَّ من استعراض الحركة التي قام بها أبو سلمة الخلال التي تتلخّص بالآتي:

عندما وصل آل العبّاس إلى الكوفة – بعد دخول جيش الثورة إليها- أنزلهم أبو سلمة في دار الوليد بن سعد، مولى بني هاشم، وأمرهم بالاختفاء. وكتم أمرهم عن جميع القادة والشيعة نحواً من أربعين ليلة[٤٩]،

٤٥- الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٤٥٠.

٤٦- الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٢- ٢٥٣؛ اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٧٤؛ مؤلف مجهول، أخبار الدولة العبّاسيّة، ص٣٩٣.

٤٧- الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٤٢٣.

٤٨- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٢.

٤٩- الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٤٣٠.

وكتب في الوقت نفسه، إلى زعماء آل البيت من بني عليّ بن أبي طالب -عليه السلام-؛ فقد كتب أبو سلمة إلى جعفر الصادق -عليه السلام-، وعبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن عليّ بن أبي طالب -عليهما السلام-، وعمر الأشرف بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -عليهما السلام-، وكانوا جميعاً في الحجاز، يعرض عليهم إمارة المؤمنين بشروطٍ محدّدة، والراجح أنّه عزم على تحويل الأمر إلى آل عليّ عندما بلغه خبر موت الإمام إبراهيم بن محمّد، لكن هؤلاء اعتذروا عن قبول الدعوة.

ومن المهم هنا أن نستعرض نصّ ما أورده ابن الطقطقا بخصوص هذه المراسلة لنلتمس موقف العلويّين منها؛ إذ قال: ((فلما سَبَرَ -أي الخلّال- أحوال بني العباس عزم على العدول عنهم إلى بني عليٍّ -عليه السلام-، فكاتب ثلاثةً من أعيانهم: جعفر بن محمد الصادق -عليهما السلام-، وعبد الله المحض بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب -عليه السلام-، وعمر الأشرف بن زين العابدين -عليه السلام-، وأرسل الكتب مع رجلٍ من مواليهم وقال له: اقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق، فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين، وإن لم يجب فالقَ عبد الله المحض، فإن أجاب فأبطل كتاب عمر، وإن لم يجب فالقَ عمر.

فذهب الرسول إلى جعفر بن محمدٍ -عليه السلام- أولاً ودفع إليه كتاب أبي سلمة، فقال: مالي ولأبي سلمة وهو شيعةٌ لغيري، فقال له الرسول: اقرأ الكتاب، فقال الصادق -عليه السلام- لخادمه: ادنُ السراج مني فأدناه، فوضع الكتاب على النار حتى احترق، فقال الرسول ألا تُجيبه؟ قال: قد رأيت الجواب.

ثمّ مضى الرسول إلى عبد الله المحض ودفع إليه الكتاب فقرأه وقبّله وركب في الحال إلى الصادق -عليه السلام-، وقال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني فيه إلى الخلافة قد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان، فقال له الصادق -عليه السلام-: ومتى صار أهل خراسان شيعتك؟ أأنت وجّهت إليهم أبا مسلم؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه، أو بصورته، فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك؟ فقال عبد الله: كأنّ هذا الكلام منك لشيءٍ، فقال الصادق: قد عَلِم الله إنّي أُوجب النصح على نفسي لكلّ مسلمٍ فكيف أدّخره عنك؟ فلا تُمَنِّ نفسك بالأباطيل فإنّ هذه الدولة ستتم لهؤلاء، وقد جاءني مثل الكتاب الذي جاءك، فانصرف عبد الله من عنده غير راضٍ.

وأمّا عمر بن زين العابدين فإنّه ردّ الكتاب وقال: أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه))[٥٠].

يبدو أنّ وزير آل محمّد لم يأخذ وصية الإمام إبراهيم لأخيه أبي العبّاس مأخذ الجدّ، أو على الأقل، فإنّه لم ير أنّ أبا العبّاس هو أصلح الهاشميين لتولّي إمارة المؤمنين.

لكن ممّا لا شكّ فيه، أنّ هذا الرجل كان واقعاً تحت ضغط الأحداث السياسية المتعدّدة الاتّجاهات، كان أشهرها الاتّجاه العلويّ، والاتّجاه العباسيّ، فكان عليه أن يختار شخصاً مقبولاً من الطرفين، خاصّة وقد بدا الفرق واضحاً في وجهات النظر بين الاتّجاهين الأوّلين بشأن صلاحياته، فالعلويّون يرون أنّ الإمام نفسه هو أمير المؤمنين، وهذا يعني أن يكون الحاكم ذا سلطاتٍ دينيّة وسياسيّة في وقتٍ واحد، أمّا وجهة النظر الخراسانيّة فتتضمّن وجوب التغيير الجذري في هيكلية النظام السياسيّ السابق، بحيث يتمتّع أمير المؤمنين بسلطات دينيّة محدودة فقط دونما سلطات سياسيّة زمنيّة.

٥٠- ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٣٧- ١٣٩.

وعليه يُفهم من تحوّله إلى آل عليّ أنّه استنتج من خلال الظروف السياسيّة المحيطة به، ومن توقّعاته للمستقبل، أنّه قد لا يحقّق تطلّعاته السياسيّة في ظلّ الحكم العبّاسيّ، فأراد أن يحوّل الأمر إلى العلويّين، بحيث يكون له الفضل في نقل السلطة إليهم طمعاً في تحقيق أهدافه[٥١].

ونتيجة لهذا الاختلاف في النظرة السياسيّة والعقديّة، ظلّ أبو سلمة منهمكاً في البحث عن الرضا من آل محمّد في شخصٍ يكون مقبولاً من الجميع من جهة، ويرضى بهذا المنصب من جهةٍ أخرى، لكن لم يجبه أحدٌ كما تقدم توضيحه.

وأخيراً فرضت الدعوة مرشّحها العبّاسيّ، أبا العبّاس عبدالله بن محمّد أميراً للمؤمنين.[٥٢]

ولم يكن أمام أبي سلمة، الذي تمّ الأمر دون علمه، إلّا أن يقبل بالأمر الواقع، مبرّراً موقفه أمامهم: «إنّي إنّما كنت أُدبّر استقامة الأمر، وإلّا فلا أعمل فيه شيئاً»[٥٣].

الخاتمة:

استعرضنا في طيّات هذا البحث بداية قيام الدعوة العباسيّة والظروف التي اكتنفتها، وسلطنا الضوء – بشيءٍ من الإيجاز غير المخل – على المسار العام للدعوة من حيث أساليبها ومراحلها ونشاطها العسكري حتى قيام الدولة، ثم تعرّضنا في مبحثٍ خاص إلى موقف العلويين من الدعوة لنخلص في هذه الخاتمة إلى جملة نتائج نوجزها بالآتي:

إنّ بداية الدعوة العباسيّة بحسب الروايات تعود إلى نهاية القرن الأول الهجريّ السادس الميلاديّ.

١- ادّعاء العباسيّين أحقيّتهم في الخلافة مستند في ذلك إلى رواية تنازل أبي هاشم بن محمد بن الحنفية بن عليّ بن أبي طالب –عليه السلام– عند اقتراب أجله إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

٢- أظهر الإمام محمد بن عليّ العباسيّ مقدرة فائقة في وضع هيكلية التنظيم السري للدعوة، واختيار مركز الدعوة وشعارها.

٣- تضمّن المنهج السياسيّ العباسيّ لكسب الأمة عدة أساليب كانت منسجمة مع الواقع ومقبولة عند عامّة الناس؛ منها رفع شعار (الرضا من آل محمد)، ولبس السواد اقتداءً بالرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–.

٤- مرّت الدعوة العبّاسيّة بمرحلتين هامّتين: الأولى تغطي المدّة الزمنية بين عامي (١٠٠ – ١٢٨هـ / ٧١٨– ٧٤٦م)، وقد تميّزت الدعوة فيها بالسرّية التامّة، وخلوّها من أساليب العنف، والمرحلة الثانية تبدأ بانضمام أبي مسلم إلى الدعوة العبّاسيّة سنة (١٢٨هـ/٧٤٦م)، واستمرّت حتّى عام (١٣٢هـ/٧٥٠م)، تميّزت الدعوة فيها باستعمال القوّة لتحقيق هدفها.

٥- حفلت الأعوام الأربعة الأخيرة من حياة دولة الخلافة الأمويّة، (١٢٩-١٣٢هـ/٧٤٦-٧٥٠م) بتطوّراتٍ سريعة، شكّلت جذور الحياة العبّاسيّة، وتجلّت فيها مظاهر ضعف العنصر العربيّ بشكلٍ عامّ، بفعل ما ساده من نزاعاتٍ وانقسامات حادّة، أدت إلى ضعف الأمويّين بشكلٍ خاصّ، وشهدت عمليات تصفية النظام الأمويّ.

٥١- فوزي، التاريخ الإسلاميّ وفكر القرن العشرين، ص١٤١.

٥٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٢.

٥٣- اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٨٣؛ الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٤٢٠.

٦- كان اختيار أبي مسلم الخراسانيّ خطوةً موفّقة، وفاتحة مرحلة جديدة في استنهاض حياة الدعوة، إذ عمد إلى أُسلوب المزج بين السياسة والقوّة العسكريّة في توطيد الدعوة ونشرها.

٧- حاول العباسيّون أثناء دعوتهم استمالة العلويّين عن طريق عقد اجتماع الأبواء الذي حضره جماعة من العلويّين والعباسيّين، وكان اجتماعاً صورياً هدف عن طريقه العباسيّون فَهَم خطط العلويّين من جهة، وتهيئة الأجواء الوديّة، وإشاعة روح المحبة والوئام بينهم وبين العلويّين، وتطميناً لخواطرهم من جهةٍ أخرى.

٨- قُبيل قيام الدولة العباسيّة حاول أبو سلمة الخلال نقل الدعوة من العباسيّين إلى آل عليّ بن أبي طالب -عليه السلام-؛ لأسبابٍ شخصية مصلحية، فكاتب حينها أعيان البيت العلويّ يعرض عليهم إمارة المؤمنين، لكنه جوبه بالرفض.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزريّ (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢. الاصفاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تقديم: كاظم المظفر، مؤسسة دار الكتاب، قم المقدّسة، ط٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥.

٣. ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفيّ (ت٣١٤هـ)، الفتوح، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٤. الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥. الخرسان، محمد مهدي، موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن: مركز الأبحاث العقائديّة، قم، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٦. الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٧. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٤٨م.

٨. الدينوريّ، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد (ت٢٧٦هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٩. الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر، مؤسسة الإمام المهدي -عليه السلام-، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٠. السامرائيّ، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ الدولة العربيّة الإسلاميّة في العصر العباسيّ، مديرية دار الطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١١. ابن طباطبا، محمد بن عليّ (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخريّ في الآداب السلطانيّة والدول الإسلاميّة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

١٢. الطبريّ، محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبريّ، تحقيق: عبد أ. عليّ مهنا، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٣. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٠م.
١٤. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسيّة، دار النفائس بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠٠٩م.
١٥. العباديّ، أحمد مختار، في التاريخ العبّاسيّ والأندلسيّ، دار النهضة العربيّة، بيروت، (د.ط)،(د.ت).
١٦. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمد البجاويّ، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٧. عطوان، حسين، الدعوة العباسيّة مبادئ وأساليب، دار الجيل، بيروت.
١٨. فوزي، فاروق عمر، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٨٥م.
١٩. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تقديم: محمد محمد عبد الرحمن المرعشليّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، (دط)، (د.ت).
٢٠. لجنة التاريخ في المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية، تاريخ الاسلام، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٢١. مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسيّة، تحقيق: عبد العزيز الدوريّ وعبد الجبار المطّلبيّ، دار الطليعة، بيروت.
٢٢. مؤلف مجهول، أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوريّ وعبد الجبار المطّلبيّ، دار صادر، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
٢٣. المقدسيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٣٨٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
٢٤. اليعقوبيّ، أبو العباس أحمد بن إسحاق (ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبيّ، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.